﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾

[يس: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـوبـيـخُ مَـنْ لـم يـتّـعـظ بـمـن أوقـعـهـم الـشّـيـطـان في مزالق الضّلال

لمّا كان تقدير الكلام في الآية السابقة: فاتَّبعتم الشّيطان وسلكتم سبيلَه مع اعوجاجه، وتركتُم سبيلي مع ظهور استقامته؛ عَطَفَ عليه قوله ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾؛ توبيخًا لهم على سلوك طريق الضّلال[1].

وبعد أن نبَّههم إلى أنَّهم نقضوا العهدُ وبَّخَهم على عدم اتِّعاظهم بغيرهم ممن أوقعهم الشيطان في المهالك، وكانت عاقبتهم ما يرون من سوء المنقلب في الدنيا والآخرة فقال﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ﴾[2].

وأيضًا لمّا ذكر أنَّ إفراد الله تعالى بالعبادة هو الصّراط المستقيم؛ أَتْبَعَهُ بذِكْرِ من أضلَّ النّاس عن هذا الصّراط المستقيم؛ للمبالغة في إيضاح عداوة الشّيطان لبني آدم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جِبِلّٗا﴾: (جبل) أصلٌ يدُلُّ على تجمُّعِ الشَّيءِ في ارتفاع، فالجَبَلُ مَعْروفٌ، والجَبَلُ: الجَماعَةُ العَظيمَةُ الكَثيرَةُ، والجِبِلَّةُ: الخَليقَةُ، والجِبِلُّ: الجَماعَةُ الكَثيرَةُ، وجُبُلًّا أَيْضًا، وهو مُشتقٌّ من الجَبْلِ بسكونِ الباءِ، و﴿جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ﴾ بمعنى: خلقًا كثيرًا حتَّى إنَّهم لكثرتهم كالجَبَل العظيم[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 153.

(2) المراغي، تفسير المراغي: 23/ 26.

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (جبل)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 48، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 46.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّحذيرُ مِن الشَّيطانِ وإغوائِه؛ فهو يَسعى لإضلالِ بني آدمَ

استئنافٌ مَسوقٌ لتشديد التوبيخ والتقريع، ببيان عدم اتعاظهم بغيرهم إثْرَ بيانِ نقضهم للعهد؛ ولقد صدَّ الشَّيطان منكم خلقًا كثيرًا عن طاعتي وإفرادي بالألوهيَّة فاتَّخذوا من دوني آلهة يعبدونها، أفلم تَعقِلوا عداوةَ الشَّيطانِ لكم، وإضلالَه مَن أطاعَه مِن الأُمَمِ السّابقةِ، وما حلَّ بهم - بسَبَبِ ذلك - مِن العذابِ والهلاكِ، فتُطيعوني، وتَترُكوا طاعةَ الشَّيطانِ؟![1].

وترشدُ الآية الكريمة إلى: بيانِ عداوة الشيطان لبني آدم؛ حيث أضلَّ منهم خلقًا كثيرًا عظيمًا، والتحذيرِ من الشيطان وإغوائه؛ لأنه لا يمكن أن يسعى لهداية الخلق أو لهداية بني آدم، وإنما يسعى لإضلالهم، وإلى أنَّ مَن اتَّبَعَ الشيطانَ في إغوائه وإضلاله فهو غير عاقل، وإلى أن مَن ساء تَصرُّفُه صَحَّ أن يُنفى عنه العقل وإن كان عاقلًا عقل إدراك، وإلى توبيخِ ولومِ مَنْ تَبِعَ الشيطان في إضلاله لكونه غير عاقل[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة الوصل في الآية:

جنايات المجرمين بنقض العهد وبعدم الاتّعاظ بعقوبات الأمم الماضية

جاءت جملة ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ على طريق الوصل بواو الاستئناف ليكون الكلام مَشوبًا بالعطف في المعنى على ما قبله؛ لأنَّه في مقام بيان سبب النّهي عن عبادة الشّيطان، والاستئناف في هذه الجملة مَسوقٌ لِتَشديدِ التَّوبيخِ، وتأْكيدِ التَّقريعِ؛ ببَيانِ أنَّ جِناياتِهم ليستْ بنَقْضِ العهْدِ فقطْ، بلْ به وبعَدَمِ الاتِّعاظِ بما شاهَدوا

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 472، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 155، والمراغي، تفسير المراغي: 23/ 26، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 698.
(2) ابن عثيمين، تفسير سورة يس: 1/ 224.

مِن العُقوباتِ النّازلةِ على الأُمَمِ الخاليةِ بسَببِ طاعتِهم للشَّيطانِ[1]، وذهب ابن عاشور إلى أنَّ الواو عاطفةٌ، والجملة معطوفة على ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ ليكون من عطف العلَّة على المعلول، وهو النّهي عن عبادة الشّيطان، وبيانه أنَّه لمّا ذَكَر أنَّ الشيطان عدوٌّ مبينٌ لبني آدم؛ ساق الدّليل بطريق البرهان التّجريبي على عداوتِه الواضحة المقتضي وجوبَ الامتثال للنّهي عن عبادة ما يأمرهم بعبادتِهم، حيث أثبت له الإضلال بِدَليلِ التَّجْرِبَةِ لخلقٍ كثير وجمٍّ غفير، ففيه إثبات لعداوتِه تفصيلًا بعد أن ذكرها إجمالًا، والمعنى: إنَّ عَداوَتَهُ واضِحَةٌ وُضوحَ الصِّراطِ المُسْتَقيم؛ لِأَنَّها تَقَرَّرَتْ بَيْنَ النّاسِ وشَهِدَتْ بِها العُصورُ والأَجْيالُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ يُضِلُّ النّاسَ إضْلالًا تَواتَرَ أَمْرُهُ وتَعَذَّرَ إنْكارُهُ[2].

فائدة تتابع التأكيد:

أكّد الكلام باللّام الواقعة في جواب قسم محذوف و(قَدْ) في قولِه ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾، فكأنّه قال: واللّه لقد أضلَّ منكم جِبِلًّا كثيرًا[3]، وفائدة تتابع التأكيد الإشعارُ بأنَّ إضلالَه الكثير من النّاس لا يكاد أن يصدَّق به، لما يبعد ارتكابه في العادة من ظهور عداوتِه ووضوح فسادِه وضُرِّه، كما أنهم لمّا لم تكن أعمالهم على مقتضى علمهم ولم يجروا على ما هو واضحٌ وبيّنٌ من عداوة الشّيطان لهم؛ جُعلوا كالمنكرين، فتتابع التأكيد في الجملة[4].

تنزيل الضّالين منزلة المنكرين لعداوة الشيطان لمتابعتهم وانقيادِهم له

دلالة ضمير الفاعل:

يعود الضّمير في قولِه ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾ إلى قوله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بما اتّصف به من كونه عدوًّا مبينًا لبني آدم، فيكون المعنى: ولقد أضلَّ

التّعجيب من كثرة إضلال الشيطان لبني آدم مع أنَّ عداوته واضحةٌ بيّنة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 175.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 175، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 48.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 175، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 433.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 154، والشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 248.

الشيطان الذي هو عدوٌّ مبين لكم خلقًا كثيرًا، ففيه معنى التّعجيب من ضلالِهم بسببه مع علمِهم بعداوتِه ووضوحِها لهم، وفي الكلام توبيخ وتقريع لهم كذلك.

نكتة إسناد الإضلال إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾:

أسند الإضلال إلى الضّمير العائد إلى الشّيطان في قولِه ﴿أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا﴾؛ لأنَّه المباشر للإغواء، للتّنبيه إلى أنَّ باستطاعة بني آدم أن يجتنبوا إضلالَه بطاعة الله وتوحيده[1].

سبب إيثار ذكر الإضلال:

مبدأ الشّر والضُّرّ هو الضّلال عن الصراط المستقيم

في قولِه ﴿أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا﴾ أوثِرَ ذِكْرُ إضلال الشّيطان دون غيره ممّا يفعله عدوّ الله لبني آدم ممّا تظهر به عداوته؛ للإشعار بأنَّ كلَّ ما يأتي من عداوة الشيطان هو بسبب إضلاله لبني آدم، وأنَّ مبدأ الشّر والضُّرِّ هو الضلال عن الصراط المستقيم، كما أنَّه لمّا ذكر الصّراط المستقيم ناسبه أن يذكر ضدَّه وهو الضلال عن الصّراط، والمعنى أضلَّ جِبِلًّا كثيرًا عن الصّراط المستقيم، ولهذا لم يقل: (ولقد أهلك) أو (أغوى)، فلكلٍّ كلمة مع أختها مقام.

عِلَّةُ التّعبير بصيغة الماضي:

ضلال الشّيطان سابق لإضلالِه بني آدم

عبّر بصيغة الماضي في قولِه ﴿أَضَلَّ﴾ للإيذان بوقوع الإضلال وظهورِه؛ ليكون الكلام على وجه الاستدلال بالمتحَقَّق الوقوع على عداوةِ الشّيطان وكفرِه، وأفاد التّعبير بصيغة (أفعل) التي تفيد تعدية الفعل اللّازم(ضلَّ) أنَّه قد ضلَّ قبل أن يقوم بإضلال بني آدم، وذلك حين أبى أن يسجد لآدم عليه السلام.

معنى (مِنْ):

(مِنْ) في قولِه ﴿مِنكُمۡ﴾ للتّبعيض، بمعنى أضلَّ من بعضِكم،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 40.

ففيه إيذانٌ بأنَّ الشّيطان لا يستطيع أن يُضِلَّ جميعَ بني آدم، وأنَّ أهل الحقِّ باقون.

دلالة ضمير الخطاب:

كـلَّـمـا تـأخـر الـزّمـان زادت جنايات بني آدم

ضمير الخطاب في قوله ﴿مِنكُمْ﴾ يعود إلى متأخِّري بني آدم، بقرينة قوله ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾؛ لأنَّ الجِبِلَّ الكثير كان بعد قرون كثيرة من نزول آدم إلى الأرض، ويدخل فيهم كُفّارُ مكَّةَ دخولًا أوّليًّا، وخُصّوا بزيادة التَّوبيخ والتَّقريع لِتَضاعُفِ جناياتهم، ليُفيدَ تَضاعُفَ جنايات بني آدم كلَّما تأخَّر الزّمان، والمبادرة إلى سلوك الصّراط المستقيم[1].

فائدة تقديم الجارّ والمجرور:

تحذير بني آدم من إضلال الشّيطان لهم وسعيه لإغوائِهم

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿مِنكُمْ﴾ على المفعول به في قولِه ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾؛ للاهتمام بالمقدَّم ولإفادة الحَصْر، بمعنى ولقد أضلَّ منكم يا بني آدم جبلًّا كثيرًا، وليس من غيرِكم، كما أنَّ في التّقديم تحذيرًا لبني آدم من إضلال الشّيطان لهم وسعيه لإغوائِهم، فهو يعيش لإضلالِهم وتزيين المعصية لهم.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿جِبِلًّا﴾:

عِـظَـمُ الأمـمِ الضّالة وقوَّتُها لا يَدلّان على أنَّهم على الحقِّ المبين

لمّا كان الجِبِلُّ هو الجماعة العظيمة، أفاد التّعبير بقولِه ﴿جِبِلًّا﴾ أنَّ الشيطان أضلَّ أُممًا كبارًا عظامًا كانوا كالجبال في قوَّتِهم واجتماعِهم وتماسكِهم وصعوبة انقيادِهم، ومع ذلك فكان يَتلعَّبُ بهم تلعُّبًا، فسبحان مَن أَقْدَرَهُ على ذلك وإلا فهو أضعف كيدًا وأحقر أمرًا[2]، وفيه إشعار بأنَّ عِظَمَ الأمم الضّالة وقوَّتَها وصلابتَها لا يدلّان لزومًا على أنَّهم على الصّراط المستقيم وأنَّهم على الحقِّ المبين، ومن نُكَت التّعبير بأنَّه أضلَّ جبلًّا كثيرًا الإشعارُ بعظيم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 175.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 154، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 359.

عداوتِه وشدَّة كيده وإصرارِه على الإضلال، وأنَّ اجتماع الأمم لا ينفعها إن لم يكونوا على الصّراط المستقيم.

غرضُ تنكير لفظ ﴿جِبِلًّا﴾:

جاء لفظ ﴿جِبِلًّا﴾ نكرةً منوّنةً للتّفخيم والتّنويع، والمعنى أضّل منكم أممًا عظيمةً متنوّعة.

وجهُ الوصف بقوله ﴿كَثِيرًا﴾:

لمّا كان الجِبِلُّ بمعنى الجماعة العظيمة في العدد والعُدَّة، أفاد التقييدُ بالصّفة ﴿كَثِيرًا﴾؛ تأكيدَ الكثرة تأكيدًا معنويًّا.

بلاغة الاستفهام المجازي:

جاءت جملة ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ بطريق الاستفهام الإنكاري، عطفًا على مقدَّرٍ يقتضيهِ المقامُ؛ أي: أكنتُم تشاهدونَ آثارَ عقوباتِهم فلم تكونوا تعقلون أنَّها لضَلالِهم وطاعتهم الشيّطان، فالإنكار مُنْصَبٌّ على أنَّهم لم يعقلوا أنَّ العقوبات كانت بسبب ضلالِهم، ويَحْتَمِل أن يكون الإنكارُ منصبًّا على نفي أيِّ عقلٍ لهم، وهو الظّاهر، فإنَّ من لم يعقل الدّلائل المشاهدة كان كمن لا عقلَ له لعدم انتفاعِه منه، أي: فلم تكونوا تعقلون شيئًا أصلًا حتَّى ترتدعوا عمّا كانوا عليه كيلا يَحيقَ بكم العقابُ، إذْ لَوْ كانوا يَعْقِلونَ لَتَفَطَّنوا إلَى إيقاعِ الشَّيْطانِ بِهِمْ في مَهاوي الهَلاكِ، ويتولَّد من الإنكار عليهم تقريعُهم وتوبيخُهم على تركِهمُ الانتفاعَ من عقولِهم واتّباعِهمُ الشّيطانَ وطاعتهم له[1].

من لم يعقل الدّلائل المشاهدة على توحيد الله كان كمن لا عقلَ له لعدم انتفاعِه منه

نكتة تضمين الجملة كلمة ﴿تَكُونُواْ﴾:

لم يقل (أفلا تعقلون) كما هو وارد في كثير من الآيات، وعبَّر بقولِه ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ لما يقتضيه المقام من كون الانتهاء عن

الامتثال لعبادة اللـه وحـده هو أمرٌ واضحٌ لمن له أدنى عقلٍ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 78، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 167، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 423، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 49.

عبادة ما يأمر به الشّيطان والامتثال لعبادة اللّه وحده هو أمرٌ واضحٌ لمن له أَدنى عقلٍ، وقد قامت الأدلَّة الظّاهرة عليه، فزيادة فعل الكون؛ لِلْإيماءِ إِلَى أَنَّ العَقْلَ لَمْ يَتَكَوَّنْ فيهِمْ ولا هُمْ كائنون به[1]، فالمعنى على نفي أيِّ عقلٍ لهم أصلًا.

براعةُ التّعبير بصيغة المضارع:

عبّر بصيغة المضارع في قولِه ﴿تَعْقِلُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّ ترك انتفاعِهم من عقلِهم مستمرٌّ متجدّد، وفيه كذلك تصوير لحالة نفي انتفاعِهم منه في الماضي، ليحذر العقلاء من هذه الحالة القبيحة المهلكة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 49.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»